محاضرات مقياس المقاربات الكمية والكيفية

سنة أولى ماستر الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة

المحاضرة الثالثة: المناهج الكيفية

تتعدد المناهج المستخدمة في المقاربة الكيفية (البحوث الكيفية)، نظرا لتعدد واختلاف الظواهر المعالجة، ومع هذا سنركز على أكثر المناهج استخداما في البحوث الكيفية، وهي المنهج التاريخي، المنهج الإثنوغرافي، المنهج السيميولوجي.

أولا: المنهج التاريخي: يقوم المنهج التاريخي على أساس دراسة أحداث الماضي وتفسيرها وتحليلها بهدف التوصل إلى قوانين عامة تساعدنا على تحليل أوضاع الحاضر والتنبؤ بالمستقبل، وهو بذلك يصف الحوادث بطريقة موضوعية ويحاول أن يربطها في سياق زمني من أجل تقديم قصة مستمرة من الماضي إلى الحاضر والمستقبل، والظواهر الاجتماعية كالظواهر التاريخية زمانية في أغلب الأحوال، إذ ترتبط ارتباطا وثيقا بماضي المجتمع وتاريخه.

إذن: يجب على الباحث أن يعود للماضي من أجل تعقب الظاهرة منذ نشأتها، والوقوف على عوامل تغيرها وانتقالها من حال إلى حال.

كما يستخدم المنهج التاريخي في **دراسة الحاضر**، من خلال دراسة مختلف الظواهر والأحداث وتفسيرها بالرجوع إلى أصلها، وتحديد التغيرات والتطورات التي تعرضت لها ومرت عليها والعوامل والأسباب المسؤولة عن ذلك، والتي وهبتها صورتها الحالية.

كما يتضمن البحث التاريخي، وضع الأدلة المأخوذة من الوثائق والسجلات مع بعضها بطريقة منطقية، والاعتماد على هذه الأدلة في تكوين النتائج التي قد **تؤسس لحقائق جديدة**، أو **تقدم تعميمات سليمة** عن الأحداث الماضية أو الحاضرة.

فالباحث الذي يستخدم المنهج التاريخي، يستطيع من خلال تطبيق أدوات البحث العلمي في دراسته كالدقة والموضوعية والأمانة الفكرية، وجمع البيانات وتحليلها وتفسيرها أن يصل إلى ربط الأحداث التاريخية وإيجاد بعض العلاقات السببية بينها، ومن ثم وضع قوانين يمكن تعميمها والاستفادة منها.

الباحث الاجتماعي: يفسر ويحلل الحدث أو الواقعة أو الظاهرة...

المؤرخ: يقوم بتدوين الحدث كما هو ويسرده، ويربطه بظروف بيئته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية...

إيجابيات المنهج التاريخي:

للمنهج التاريخي إيجابيات عديدة منها الكشف عن الطبيعة البشرية في الماضي، وكيف تطور المجتمع الإنساني والفكر الاجتماعي ومسار تطوره، كما يوضح جذور الحياة المعاصرة الحديثة، وهذه قدرة منهجية كبيرة يتمتع بها المنهج التاريخي، لأن الحياة المعاصرة قائمة على الحياة السابقة وامتداد لها ولا تمكن دراسة الحاضر دون الرجوع إلى الماضي.

لكن، هذا لا ينفي وجود بعض السلبيات لهذا المنهج، وهي في المجمل عبارة عن انتقادات، وهي:

1-يتضمن فرضيات تخمينية غير يقينية، أي غير قابلة للتحقق منها بشكل عام.

2-إن البدايات الأولى للتاريخ الإنساني غير معروفة.

3-لا يستطيع هذا المنهج أن يفسر لنا كيفية ربط الماضي المجهول عندنا بالحاضر المعروف، فهو بهذه الحالة لا يعطينا شيئا ولا يفسر شيئا، إنما هو **منهج تأويلي**.

4-إن آراء المؤرخين تختلف حول الموضوع الواحد، وإن بعضهم ينقد بعضا، وهذا دليل أو اعتراف بوجود **العنصر الذاتي** في التفكير التاريخي.

5-إن الدراسات التاريخية موضع **تعديل مستمر**، إذ يتوقع أن تظهر في المستقبل وجهات نظر جديدة تفسر الوقائع الماضية على نحو جديد، بسبب الكشف عن وقائع جديدة وبسبب اختلاف عقلية العصر الذي يعيش فيه المؤرخ.

مصادر المنهج التاريخي

تنقسم المصادر التاريخية إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

1-المصادر الأولية: وهي أقوال الأشخاص المعتمدين الذين عاصروا الحدث في زمانه ومكانه، **مثل**: الوجهاء، الأعيان، الشيوخ، شهود العيان...إضافة إلى السجلات والوثائق الرسمية الصادرة عن المؤسسات الحكومية والجهات الرسمية، ضف لذلك السجلات الشخصية في صورة **السير الذاتية، الوصايا**، **والمذكرات**، كما تشتمل هذه المصادر على القوانين واللوائح.

2-المصادر الثانوية: وهي كل ما نقل أو اشتق أو أخذ من مصادر أولية، أي أن الجهة التي تستفيد أو تستخدم البيانات الأولية تعتمد على البيانات التي تنشر في **البحوث**، **الرسائل العلمية**، **الصحف والمجلات**.

لكن، يبقى من الأفضل استخدام المصادر الأولية، لأن المصادر الثانوية كثيرا ما تكون عرضة للأخطاء نتيجة عدم الدقة في نقل البيانات، أو أخطاء في الكتابة أو التحليل.

3-المصادر الميدانية: إذا ما كانت المعلومات المطلوبة موجودة لدى بعض الأفراد أو الهيئات وتكون مشاهدات غير مدونة في سجلات، فإن الباحث يقوم بجمعها عن طريق **توجيه أسئلة** للأفراد أو الحصول عليها عن طريق **المشاهدة المباشرة**، أو **دراسة الآثار والبقايا** عن الحضارات القديمة، والتراث التاريخي لبعض الثقافات...

ملاحظة مهمة: يتعين على الباحث الذي يستخدم المنهج التاريخي قبل أن استخدام المعلومات التاريخية أن يجري **نوعين من الاختبارات** أو التحليلات للمصادر التاريخية، وهي:

1-التحليل الخارجي: يجب على الباحث أن يتحقق من شخصية المخبرين، وشخصية المؤلف، والكاتب، وزمن الوثيقة ومكان صدورها، وكذا مدى صدق الوثائق من حيث أصالة مصدر المعلومات أيا كان نوعه وشكله وتثبيت زمانه ومكانه (**خصائص الخط، الأسلوب الكتابي واللغوي، نوع الورق المستخدم...).**

2-التحليل الداخلي: على الباحث أيضا أن يتحقق من الظروف التي ظهرت فيها وثائق الدراسة، والتأكد من مدى صحة محتوى المادة التي تحويها الوثيقة أو المصدر، من حيث (دقة المعاني، الرموز، المحتويات التي تثبت أصالتها...).

خطوات المنهج التاريخي

تتلخص خطوات المنهج التاريخي في عدد من الخطوات المتسلسلة والمترابطة، وهي كالتالي ذكرها:

1-تحديد المشكلة.

2-تحديد مصادر جمع المعلومات.

3-تحديد وحدة التحليل التاريخي (قد تكون زمانية، أو تكون هذه الوحدة عبارة عن مجموعة من الجماعات أو نظاما أو ظاهرة أو مجتمعا محليا).

4-تحليل البيانات التاريخية.

بالتوفيق للجميع